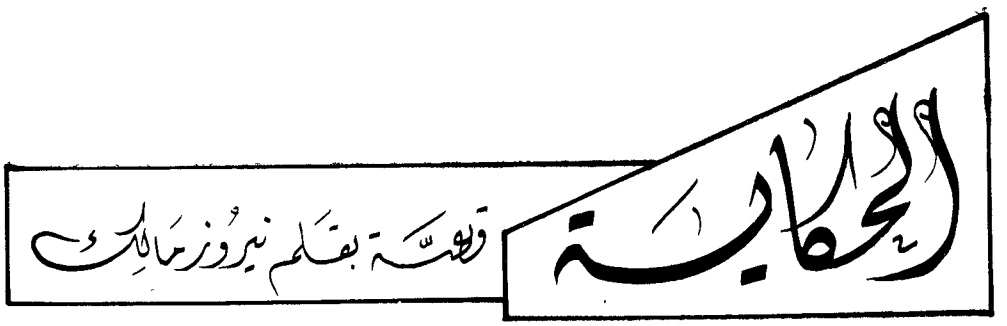

ـ عن الرحيـل ـ

الوقت مساء .. والسحب السود تنعقد في الافق .. ثم تزحف الـى سمـاء المدينـة ..

وآخر سيارة في « كاراج فلسطين » راحت تتحرك .. عندمـا جلس ثلاثة رجال على مقعدهـا الخلفي الطويل .. فاغلق المعاون بابهـا ... ثم صفـر بلسانه للسائق . وصـاح :

ـ امش يا ابا عبده .

انطلقت السيارة الى مخيمـات اللاجئين .. فكانت تسرع حينا .. وتبطىء حينا آخـر في سيرها .. تاركـة وراءها مصابيح المدينـة المضاءة مصلوبة على الاعمـدة في شوارعها ، وعلى جدران بيوتهـا .. وما ان قطعت بضع مئـات مـن الامتـار خارج المدينة .. حتـى بـدت الاخيرة كبساط اسود تلمـع على صفحته نجوم شاحبة .

ـ عن القهر ـ

اشاح الرجل الاول الجالس قرب النافذة بوجهه عـن رؤوس الركـاب ، وحدق من خلال زجاجها بالليـل الذي انتشر بسرعـة ... والقهر يمزق في عينيه صور ارض كان يملكهـا .

حرك لسانه في فمه ، ومضغ ذكريات مرة :

« لقـد طردنـا من الارض ، وكفى ..! لماذا ؟ كيف ؟ هـذا بحث ثـان ... لا وقت لدي للاجابة عليه ..! يكفي ان اعرف اننا عبرنـا الحدود لا نحمل سوى جلودنـا .. فحط البعض في ارض اشقائه .. وضرب البعض الاخر في الارض هائمـا على وجهه في عالم الغربـة والضيـاع » واخـرج سيجارة من جيبه .. وراح يعب منها انفاسـا متقطعـة ، وينفث دخانهـا من انفه وفمه .

« ومرت الايام ، وضاعت وجوهنا في لياليهـا .. فكنـا لا نراهـا الا في اليـوم الاول من كل شهر .. عندمـا تضمنا في صفوف طويلـة امام مبنى الاعاشـة .. وما تلبث ان تختفي ثانيـة في اكياس الـرز والطحين .. فكنـا نعـود لنجلس امـام خيمنـا السود لطرد الذباب عـن رؤوسنـا ، وللبحث في المذياع عن حكايـة عودتهـا الينا » .

وانتابه شعور بدوار حاد في رأسه .. فمد يدا مرتعشة الى زجاج النافـذة .. وازاحه الى اليسار ـ فسرى داخل السيارة تيار بارد ـ

صـاح المعـاون :

المخيم .. المخيـم .

حمل الرجل جسمه على قدميه ، ونزل من السيارة .

ـ عن حيـاة ـ

ازاح الرجل الثاني نفسه الى جانب النافذة .. ومد يده الـى الى جيبه مخرجا علبة تبغه .. فلف منها سيجارة رفيعـة جدا .. ثـم قدم العلبة الى الرجل الجالس قربه قائلا : « تفضل يا اخ » .

ابتسم الرجل له . وقال :

ـ شكـرا لا ادخن ..!

رفع سيجارته الى فمه يسحب منهـا انفاسا قصيرة ... فكان وجهه النحيل الطويل يتسربل بالدخـان المنطلق من فمه ، وانفه بين تـارة واخـرى .

« مرة اخرى نسيت ان ابتاع ثوبا لام علي »

هذا ما حدث به نفسه « لا .. لم انسها .. ولكن ـ العين بصيرة واليـد قصيـرة ـ لقد اشتريت قميصا لعلي ، وسروالين لاحمـد ومحمود ، وثوبا لسميرة ..وبعض اللوازم الاخر للبيت و .. مـددت يدي الى جيبي .. فلم ار فيه الا بضع ليرات لا تكفي لعودتي الى المخيم ... بعـد ان حرمت نفسي على مدى شهريـن من كل شيء حتى مـن جلسة في المقهى مع فنجـان قهوة ، وسيجارة غليظة مملوءة بالتبـغ الاصفـر » .

وندت عنه آهـة متحسرة .. فرفع يده الى فمه ، وسعـل ... فامتلأ فمه باللعاب الممزوج بالمخاط .. وسعل ثانية مكورا اللعاب فـي

فمه .. ما لبث ان بلعه .. وأسنـد رأسه الى مؤخرة الكرسي . وقال في ذاته .. وهو يطبق اجفانه :

« عليّ ان استيقظ غدا باكـرا لكي اذهب الى مركز الاعاشـه لآخذ منهـا نصيب الاولاد من السكر والطحين ».

صاح معاون السيـارة :

المخيم .. المخيم .

رفع الرجل رأسه .. وتحرك من مكانه حاملا بيده اليمنى صرة متوسطـة الحجم .. وباليسرى سلـة صغيرة .. ثم نزل من السيارة .. واختفى في ظلمـة الليـل . .

ـ عن الرفض ـ

تحرك الرجل الاخير الى النافذة .. ونظر خارجـا في الليل . . حيث المطـر يسقط رذاذا على زجاج نافذة السيارة ، والبرق يـومض في اعمـاق الغيـوم .. فتلمع اطراف كتلهـا السود على داره المؤلف من أربـع غرف في بيسان .. واشجار الزيتـون والبرتقال في الحقل القريب .. وقطعـة الارض الصغيرة التي كثيـرا مـا زرعها ابـــوه قمحـــا ..

وقطعت الدموع شريط الذكريات في عينيه .. فاغمضهما .... وضغط عليهما بشدة .. وتذكر « عندما كان لاثذا بحضن امـــه يجهش بالبكاء ـ تذكر كلام والده العجوز يوم استشهاد اخيه الاكبر في غزة .

« عيب يا ولد ، البكاء للنساء »

فتح عينيه .. والتفت امامه . وقال لنفسه :

« اعرف صباح الغـد قبل شروق الشمس .. ستقف امـي قرب رأسي لتقول : ـ بني هل نسيت اليوم ـ انه الاول من الشهر ـ قـم الى مركز الاعاشـة .. ولكنني سأقول لهـا :

« لا .. ؟! »

والتفت صوب السائق . عندمـا سقطـت كلمـات الشتم ، واللعـن في اذنيـه :

« يا لهذا المطر اللعين لقـد جعل الطريق قطعة صابون »

واهتز الركاب ... وتدافعت رؤوسهم الى الامام .. ثم تراجعت الى الخلف .. وامتدت الايدي الـى مقابض المقاعد تتشبث بهـا ... عندمـا تزحلقت السيارة منحرفة عن الطريق .

قام الرجل من مكانه . واعماقه تهتز بعنف .. وهو يلتقـــط انفاسه ..

واشار الى المعاون المتشبث بذعر بكلتا يديه بمقبض باب السيارة الحديدي ـ اشار اليـه ان يتنحى لـه عن الباب .. ثم نزل من السيارة.

ـ عن الرعـد ـ

وقف الرجل يحدق في الليل الحالك مستبينا طريقه .. وكـان الجـو ينذر بعاصفـة رعديـة .. والارض يفوح منهـا رائحة المطـر الذي توقف عن الهطول لتوه .. وكـان الصمت مطبقـا تمامـا ... واللحظات تمر ثقيلـة لا تحتمل .

وجاءه صوت الرعـد من بعيد .. من اعماق اعماق السماء ... ثم انتشر حتى فوق رأسه .. ووميض البرق في بطن الغيوم .. واشعل مساحات واسعة منها .. ولمعت الطريق امام عينيه .

حلب ـ **نيروز مالـك**

عذابات

ما بين البدء والختام

اللهـاه

أن أرسم في العاده

بالفحم وجوه السادة

كي أمحوها بالممحاه !

***

المـأســاه

أن أنزع عني وجهي .. أن أنساه

ملتصقا في ألبوم السادة والاشباه

حينئذ .. يا ويلي لن يعرفني أحدٌ .. ،

حينئذ .. لن يعرفني الله !

***

حين انشطر الدرب انشطرت قدماي .. ،

تباعدتا .. وتباعدتا

تتعذّب من أجل الاشلاءِ الاشلاءَ ،

فآهٍ لو كانت قدماي تواعدتا

***

المأساة أم الملهاه

أن أرسم أوّل ما أرسم بالفرشاه ...

وجهـي ...

فلعليّ يوما قد أنساه فألقاه

المأساة ام الملهاه ؟

فأنا بين الواحد والواحد علّقني الله

القاهـرة **نصار محمد عبد الله**

● من ديوان « الهجرة من الجهات الاربع » يصدر هذا الشهر